

## فرنسا وروسيا.. أحلاف ومصالح للقضاء على داعش

2015-11-19 باسم حسين الزبيدي

في سبتمبر/ أيلول الماضي أعلن الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" من على منبر الأمم المتحدة، في ظهور نادر لبوتين، ضرورة "إقامة تحالف دولي موحد" يستهدف القضاء على تنظيم "داعش" وجميع الحركات والمنظمات المتطرفة الأخرى العاملة في سوريا.. في ذلك الوقت كان الجميع يتحدثون عن التدخل الروسي في سوريا جاء بهدف لإنقاذ نظام "الأسد" كحليف لروسيا التي فقدت معظم نفوذها في الشرق الأوسط والبحر المتوسط لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وأطراف أخرى، وان مراهنة روسيا لانعاش "الأسد" خاطئة وستؤدي للمزيد من التوتر والإرهاب في منطقة الشرق الأوسط.

في ذلك الوقت كانت معظم الدول الأوروبية منزعة من هذا التدخل الروسي، بخلاف الولايات المتحدة الأمريكية، وتحديدًا الرئيس الأمريكي "باراك أوباما"، الذي لم يكن على عجلة من أمره في التحرك ضد التدخل الروسي، أو حتى دعوات "بوتين" لإقامة تحالف موازي للتحالف الدولي الذي تشكل بإرادة أمريكية... ومع أن سبب التوتر الأوربي-الروسي له ما يبرره بعد أزمة أوكرانيا وشبه جزيرة القرم، إلا أن أسباب أخرى قد دفعت لتنامي الخلاف حول ملفات معقدة في الشرق الأوسط، ومنها الملف السوري على سبيل المثال، خصوصًا وأن دولًا خليجية حليفة لأوروبا كانت لا ترغب بأي دور للروس، في مناطق يحاولون ضمها إلى مناطق نفوذهم بعيدًا عن روسيا.

هذه التقاطعات تحولت إلى قناعات بجدوى العمل العسكري القائم حاليًا في سوريا، والتي كانت سببًا في التزام الولايات المتحدة الأمريكية الصمت، خصوصًا بعد هجمات باريس الأخيرة، والتي كشفت ضعفًا حادًا لدى بعض الدول الأوروبية في التعامل مع الأزمة التي يمكن أن يتسبب بها الإرهاب العالمي وتحديدًا داخل القارة العجوز... بمعنى أن القناعة الأوروبية (وبالأخص لدى فرنسا) بضرورة التعاون مع الأطراف الفاعلة (مثل روسيا) لم تتولد بسبب الهجوم وإنما لحجم الخطر الذي قد أحاط أوروبا والإرهاب المتجه نحو عموم أوروبا ليس لأن الموقف الروسي صحيح بنسبة 100% وإنما بسبب السياسات الخاطئة التي اتبعتها فرنسا وغيرها في إدارة الملف السوري وطبيعة

تحالفها مع الجهات التي اضررت بها.

الاستدارة الفرنسية نحو روسيا ربما جاءت على هذا الأساس، وهو ما رجح ظنون سابقة بوجود اتفاق مسبق بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية للتنسيق في الحلبة السورية، وإقناع الاوربيين بتغيير مواقفهم السابقة، والتي تقاطعت بمجملها مع الاستراتيجية الأمريكية لحل الازمة السورية، سيما وان وجود تنظيم داعش ومن يقف خلفه والدعم الذي تلقاه ومتى وكيف سينتهي كلها علامات استفهام واخلاف بين الجانب الأوربي والجانب الأمريكي قبل بروز الدور الروسي كطرف ثالث في الازمة.

فرنسا التي أبدت مرونة كبيرة للتعاون مع روسيا، إضافة الى ترحيب الولايات المتحدة الأمريكية بالتعاون مع روسيا في مكافحة الإرهاب والقضاء على داعش، والتي قد تصل الى مستوى متقدم عبر إقامة تحالف دولي أوسع قد يفعل بقرار من الأمم المتحدة، كلها تعني ان التحالفات السابقة (ضيقة الأفق) انحسرت بصورة تدريجية، مقابل تحالفات أوسع يمكن ان تكون أكثر فاعلية في احتواء تمدد داعش تمهيدا لإنهاء سيطرته على الأراضي العراقية والسورية، والتي بدورها يمكن ان تعطي شحنة من الامل للتوصل الى اتفاق سياسي ينهي الازمة السورية ويحدد الخطوط العامة لإيقاف حرب أهلية دامية استمرت لخمس سنوات.

كل هذا يمكن ان يعطي نتائج ملموسة على ارض الواقع في حال لم تتحرك الأطراف الأخرى بالضد من التحرك المشترك، الذي قد يشكل ضربة لمصالحها الخاصة في سوريا او الشرق الأوسط بصورة عامة، لذلك فان الأيام القادمة ستكون مهمة في تقييم الاتفاقات التي ستري النور بعد جولة الزيارات والمفاوضات الفرنسية او الروسية او الأمريكية، ومدى صمودها امام التحالفات المضادة.